http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1748) السنة السابعة - الخميس (18) آذار 2010

في رحيل الشاعر الكبير كاظم السماوي

شيخ المنافي وشاعر الأممية الصافية

حسين الهنداوي

منذ ديوانه الأول (أغاني القافلة) المكتوب في أزمنة البراءة والعنفوان، والصادر في بغداد عام ١٩٥٠، وحتى لحظة وفاته في ٢٠١٠/٣/١٥ في العاصمة السويدية ملجئه الأخير، وكاظم السماوي ظل يتألق متباهياً وأكاد أقول متماهياً مع انسانية حالمة وآسرة في آن، هي رفيق عمره الآخر: عبرها تسامى، ومن اجلها تناثر، وبها أسمى صحيفته "الانسانية" التي اصدرها في بغداد بعيد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، كما دسها علناً، وغالباً سراً، في كل قصائده تقريباً، مانحاً اياها للرائح والغادي، وللقريب والبعيد ودون مقابل دائماً.

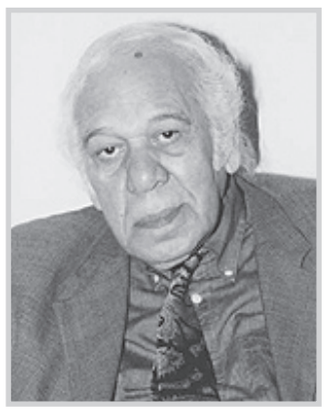

كاظم السماوي

واذا كان الناقد الراحل (ميشال سليمان) رأى في شعر السماوي "رافداً باهر الخصب في نهر الشعر العربي الحديث" فإن من المؤكد لدي انه شاعر تلك الانسانية الصافية الثائرة انما المغدورة، وليس في بعدها العراقي وحده برغم ان هذا البعد كان نطفتها الاولى وظل حاضراً فيها كجوهرها الخفي. والسماوي ايضاً يساري وواقعي وملتزم وكل ذلك بالمدلول العريق وأكاد اقول الأول لهذا المعاني.

وتحت ضوء هذه الخاصية وحدها احياناً، ينبغي في رأينا قراءة معظم وربما كل قصائده، اذا اردنا استكناه اسرارها وإصراره على العطاء.فهذا الشاعر الحالم مبكراً "بالقمم المغسولة بالشمس" يندر ان لا يتقاطع قارئه في لحظة او اخرى سواء في قصيدة من قصائده التي تتمدد على تباريح نصف قرن، او موقف او وقفة في منفى من المنافي التي لم تعد تحصى بيسر، مع رموز غاية في التنوع والتناثر والتنائي الا انها تتقاطع بل تتداخل دائماً عبر عمقها الإنساني المسكون بالامل الواثق ظاهرياً انما القلق في مكان او لحظة منه.

ويكفي ان اذكر من ديوانه الاول وحده اسماء جعفر ابو التمن وبول روبنسن والشاعر الزنجي الاميريكي ماك كربا وبرنادشو والمعري وكارل ماركس فيما تجسدت في مجموعته الاخيرة هذه باقة تضم (عروة بن الورد) و(علي فودة) و (حلبجة) و(عطشان الازيرجاوي) وشهداء قصر النهاية و(حسن السريع) وكردستان "وردة النار الخالدة".

هذا الهاجس، بل هذا الوفاء، كان قد تأكد سلفاً وترهّف انما تسيس اكثر في ديوانه الثاني "الى الامام ابدا"، الصادر في بيروت عام ١٩٥٤، والثالث "الحرب والسلم" ثم في "رياح هانوي" و"الى اللقاء في منفى آخر"، و" قصائد للرصاص..

قصائد للمطر" حيث الرصافي وبيروت والشاعر الزنجي جوزيف نورث وحمالو ارصفة الموانىء الامريكيون وديان بيان فو والشرق الاحمر وهانوي وبكين، هي الرموز التي تقاسمت الهواجس لديه انما مناصفة، كما دائماً، مع العراق الذي لئن صار محض طيف، كان في غياهب الدخيلة كل شيء ومركز النبض ساعة الحساب الحقيقي لدى كاظم السماوي الذي ظل ينوّع ويزهّر رموزه الانسانية ببهجة مداقة بخيط من الحزن عميق هو ايضاً ومرير في زوايا منه.

ذلك لان نزفاً ثراً وجسيماً الى هذا الحد يخفي اخاديد غائرة، واي أخاديد، وأي اوردة تلك التي تختزن كل هذا العمر من التغربات والمنافي الخارجية والداخلية والاغبرة والانكسارات لهذا الشاعر الذي كتب له وعليه مرة بعد اخرى ان يرى بيته يحترق... واي احتراق.

وطن من رماد
لم يعد قبلة للاساطير، موقداً للسنا،
وآيات نار
تلمست وجهي ولم يك وجهي
مرايا السلاطين ملء الزمان...
ملء المكان

في (فصول الريح ورحيل الغريب) الاوردة هي ذاتها من سيشتعل هذه المرة في فاجعة "رحيل الحلم"... وهل من فاجعة يمكن ان تنهش القلب اربا اربا كرحيل ابنه نصير:

هد حيلي مصابك الجلل
كيف اقوى وثقله.. جبل...
اهو العدل مسه الخبل
ان اطيل ثوى وترتحل...
جئت حلما ورحت حلما،
رفيفا،
جرحك الجرح
كيف يندمل؟

هكذا كان رهيبا مشهد فقدان فلذة الروح لكن، وكليث بلا عرين يكابر كاظم السماوي مشاطراً الريح براءتها وقلقها المكتوم ولا اباليتها الابدية وبهجتها ايضاً، مهما كانت هذه ناضبة وعابرة.

و"ملقى وراء الليل" محروماً من وطن صار مسوراً على ابنائه بالحراب، ورافضاً مهادنة انظمة ذئاب واميات مخابرات وجبهات ذليلة ظل السماوي يتفرى الدروب هائماً بضميمته الاولى، العراق، وبـ "اصداء حلم نرممه كل يوم" متلفعاً طواعية بجرح "انعكاس المرايا وموت المناشير والثورة العاقرة.."

غامت بعينيك الديار
لم يبق منها – يا رحيل – سوى الغبار
سوى ظلال انكسار
نصحو على السكين في اعناقنا نغدو
ونكسر كالحجار

يقينا، ثمة استمرارية ووحدة داخلية مدهشة بين كل مجموعات كاظم السماوي الشعرية تعبر عنها نزعتها الانسانية، نصف العفوية، المستوحاة والتي تعبر عن نفسها في جملة من الخصال ليس ما تقدم الا جزءا منها، ولا اهادن، مجموعته الشعرية الجديدة هذه تحمل كل هذه الخصال دفعة واحدة ومن جديد، لكنها تحمل خلسة، وكالحفيف، حكمة شيخ انتمى ابدا الى الحلم والى الحياة:

شجراً لرملكم طويت العمر
ما رسمت خطاي .. سوى خطاي
لم تنطفىء جمرات حلمي
يا سواي .. ولم يكن يوما..
سواي
وطن؟
ومذ خمسين عاماً كان لي وطن
ومذ خمسين عاما كان لي منفى
وما اغترب الزمان
الريح بعدكمُ تلمّ غباركمُ...
وما انطفأ السراج

لعل شظايا القلب هي ما يتطاير هنا متسللاً من بين ما يشبه الصخور، متلوياً من شدة غربته، انما ايضاً من وطأة وغلاظة اعوام تنوء بأعباء تسعة وخمسين هجيراً ولا يزال يغريها التراكم والتمدد وكما الى الابد..

ها انت مرتحل .. وكم هاجرت

يا لله كم دال الزمان.. وكم تهاجر
ماذا تبقى من لهاث العمر يا شيخ المنافي
الليل يطفىء نجمه،
الطرقات موحشة...
وليل الصمت... ملح

لكن ليالي المنافي ستغدو اكثر عتمة من الملح ومحض غبار حينما رحلت والى الابد بغتة، رفيقة العمر والدرب الطويل هذه المرة، وفي غبش اسود وتحت سماء غريبة: لم يبق
غير صدى يمور وينطفىء .. نأت الديار
راحت رسائلنا وعادت للغبار...
من الغبار
الكون منكسر وكان الوهم يوماً...
ان نعود
منديلك الفضي فاتحة النهار لم ترحلين...؟

العراق، الفرات، الثورة، السماوة، الابن، الزوجة، العائلة، الشعب... كل منها يأخذ مكانه الخالد والرحيب والمشمس في صدر هذا الشاعر، انما كشجوج عميقة خاصة وكصلبان محمولة على كاهل لا يريد ان يتطأطأ مهما تنادت على ثنية غادرات السنين، وقد تعصف الريح مقبلة او مدبرة لا فرق: فما انت.. ان لم تمت واقفاً، بيد ان للألم غروره في لحظات الشدة:

انا ان خسرت العمر لم أخسر خطاي
حاصرت منتفضاً حصاري
ليس من احد سواي
فأنا التوازن والتناقض والمصير
وانا خطاي

لا فسحة ابدا للهزيمة اذا، لدى هذا الشيخ الذي لم تعد له من الذكريات سوى الانهر اليابسة، وسوى زهرة من حجر، وقوارب مهجورة.. غادرتها الرياح ولا فسحة للنحيب.. انما، والى جوار القطب الاعلى للكون، الى المحيطات الشمالية المتجلدة في السويد، سيحمل هذا الجنوبي الاصل والفصل حطام نيازكه بانيا منها منفى يحمي فيه وحدته:

وحدي اهوّم في سهوب الارض
يا وحدي..
تمر بي الوجوه وتختفي
وتجوس بي الاصداء عابرة
ولا تفضي الى قمر يضوي الليل
يا وحدي.. ويسكنني الصدى
ويعود بي برد الجدار..
الى الجدار

ووجها لوجه مع الريح ، و"بين سماء وارض خاوية الصدى"، ومع حقيبة هي "وطني المهاجر في الحقيبة"، ثمة حبل سري يظل يشد كاظم السماوي الى تلك الانسانية الحالمة الاولى التي لا ترى بوصلته سواها في لحظات رقاد الرياح، كما لو انها الملاذ الاول، والملاذ الاخير، والملاذ الوحيد دائما... و(عروة بن الورد) هو الرمز بداهة هنا، بيد ان جاهلياً آخر تخطى زمانه كعروة، النابغة الذبياني، السِّماوي الآخر، هو الاقرب في رثاء الحال:

تصبرت حتى ملّ من صبرك الصبر
فماذا يقول الشعر لو هدر الشعر
ومن انتم؟ مر الزمان وانتم،
سراب ولا ماء، وشوك ولا زهر
واعلم اني من بلاد عتت بها شرائم
لا فرع لديها ولا جذر
ويالك عملاقا تخطى زمانه
كما يتخطى في مشارفه النسر

هذه النبرة التي تذكرنا بوادي السماوة ورمل مفازاتها الذهبي، لم تفارق ايا من مجموعاته الشعرية الكثيرة، جاعلة من هذا الشاعر بين ابرز شعراء القصيدة العمودية العراقيين في النصف الثاني من القرن العشرين، الى جانب طاقاته الشعرية الاخرى، الا انها تتوازى مع معطى رفيع آخر في شعره، يتمثل في ذلك التعاطف التلقائي بل الانتماء الذي يأخذ شكل غناء شبه فطري وجارف في الدفاع عن الامة الكردية المضطهدة انما المقاومة، مما يميز بين نظرائه هذا الشاعر العربي المعلن انتماؤه من قبل لثورات الجزائر وفلسطين وظفار والعشرين والقرامطة والزنج.

كوردستان
مر العمر والايام غاربة
ومذ خمسين عاما كنت عاشقك المتيم
كنت لي من غير ان تدرين...
ولو اني ولدت وعشت ثانية
لكان اسمي على الايام....
كوردستان

نعم، "شاعر القافلة الانسانية" كاظم السماوي، كما اطلق عليه اللبناني الراحل (محمد شرارة) في ١٩٥٥. مستقبلاً مجموعته الاولى "أغاني القافلة" ولقد ظل وفياً لانتمائه الاول ذاك، هو المجايل بل المواكب للسياب ونازك الملائكة والبياتي وبلند الحيدري ومحمود البريكان ومظفر النواب، لكن المتجه بحرية منذ ومضته الاولى الى اعتناق ارادة جماعية، متطلعة وحالمة وفردية وهذا لا شك به، الا انها جماعية بكل مساماتها كما هي ثورية، بينما كان هؤلاء بحماسة عفوية وتطلع مماثلين متجهين بحرية ايضاً لاعتناق تفرداتهم المباشرة، وهذا تحديداً ما سيصنع خصوصياتهم التأسيسية كاعتناقات عفوية متغايرة، انجبت جماليات متضادة غالباً، ميزت كلا من التوجهين منذ البدء رغم اوجه التقاطع العديدة الخفية منها والظاهرة التي انتمى لها جميع شعراء ذلك الجيل السخي نفسه. ومجموعته الشعرية الاخيرة جاءت لتؤكد تجربة شعرية متميزة ومكتملة وموقفاً لم يتردد شيخ المنافي وشاعر الانسانية العراقية الصافية كاظم السماوي في دفع ثمنه باهضاً وكاملاً ولايزال مواصلاً اصرارا رائعاً على الوفاء والعطاء.

أدب الجريمة على الطريقة الأميركية اللاتينية

ترجمة: المدى

كان الكتّاب الأرجنتينيون من بين أوائل الذين تبنُّوا و كيَّفوا أدب الجريمة القصصي في أميركا اللاتينية. و قد أبدع هؤلاء الكتّاب شكلاً شعبياً، محترماً أرجنتينياً على نحو فريد من أشكال القصص الغامضَّة. فغالباً ما يميّز القصص الدعابة السوداء، والمحاكاة الساخرة، و نقد النظام السياسي، والاقتصادي، و الاجتماعي السائد. و الكثير من الحبكات لا حلول لها أو أنها حبكات ملتبسة تعكس مجتمعاً لا ينتصر فيه الخير على الشر.

ترجمات كتَّاب مثل أدغار ألان بو وأرثر كونان دويل و آخرين.

وعلى كل حال، فإن هذا الشكل القصصي قد تم أخيراً تكييفه و ملاءمته مع الثقافة الأرجنتينية - و كانت أول قصة قصيرة من تأليف بول غروساك في عام ١٨٨٤.

كما أن هوراسيو غويروغا الملقّب بأدغار ألان بو أمريكا اللاتينية، و هو من أوروغواي، كتب عدداً من الحكايات القصيرة. و قد نُشرت إحدى الروايات الأولى في عام ١٩٤٠ و هي لأبيل ماتيو، الذي كتب أيضاً (الشرطي السري الأصيل) و نُشرت في عام ١٩٥٦.

و في أواخر الثلاثينيات أُطلقت سلسلة من قصص الجريمة هذه و أخرى في عام ١٩٤٥ قام بتأليفها اثنان من أكثر كتَّاب الأرجنتين موهبةً و تأثيراً - خورخ لويس بورخيس و أدولفو بيوي - كاساريز. و قد قام هذان النجمان في عام ١٩٤٢، مستخدمين الاسم المستعار هـ. باستوس دوميك، بنشر (ست مشاكل للدون إيسيدرو بارودي) الشهيرة جداً.

وكما يشير العنوان، فإن البارودي أو المحاكاة الساخرة كانت فخمة رائعة - يقوم البطل، الدون إيسيدرو باروديِ، بحل لغز الجرائم من زنزانة السجن #٢٧٣! و يكتب عضو في الأكاديمية الأرجنتينية لكتَّاب الأدب في مقدمة هذه المجموعة المدهشة من القصص، قائلاً " أية متعة نادرة هي.. أن تتذوق قصة بوليسية detective لاتذعن للأحكام الجامدة المتبعة في السوق الأنكلو - ساكسونية ".

وهناك شك قليل في أن هذا الانقطاع التجديدي عن الموروث يميّز الكثير من النوع الأدبي الأرجنتيني لكنه أثّر أيضاً في أدب الجريمة القصصي في أنحاء العالم. كما نشر آخرون قصصاً من هذا النوع، مثل مانويل بيرو، وهو فيزيائي و شاعر و فيلسوف، الذي نشر (رعد الأوراد: رواية بوليسية)، و هي محاكاة ساخرة و عمل يعتبره بعض الخبراء الرواية البوليسية الأكثر تألقاً في اللغة الأسبانية.

و في أوائل الخمسينيات، فاز رودولفو خورخ وولش، وهو ابن مهاجرين إيرلنديين و صحافي تحقيقي، بجائزة أدبية على مجموعة من ثلاث روايات قصيرة، كما أنه نشر مختارات من القصص البوليسية الأرجنتينية، ورواية مثيرة للجدل مستندة الى سلوك فعلي يتّسم بالرعب ارتكبته الدولة، بعنوان Operacion Massacre ، وفي عام ١٩٧٧ اختطفته السلطات و قتلته! و ظل بورخيس و بيوي. كاساريز فعّالين جداً في هذا النوع الأدبي - كتابةً، و تحريراً، و نشراً، و بوجه خاص تأثيراً في الكثير من الكتَّاب الأرجنتّينيين الشباب.

وقد كتب كلا الرجلين بشكل وافر في أنواع أدبية أخرى و أنتجا مع هذا عدداً كبيراً من الأعمال القصصية الخاصة بالجريمة.

وقد كتب بورخيس الاستثنائي أندر القصص القصيرة في هذا النوع بما فيها " الموت والبوصلة Muerte y de brujula "، من مجموعته القصصية (الألف Aleph و قصص قصيرة أخرى).

فهذه القطعة غامضة، و معقدة، وتحطم القاعدة الأساسية لكتابة القصة البوليسية أو الغامضة! كما أن عدداً من الكاتبات كن فعّالات في هذا النوع، بضمنهن ماريا أنجيليكا بوسكو، التي تكتب بالأسلوب الكلاسيكي، والمهاجرة الإيطالية سيريا بوليتي، التي كتبت عدداً من القصص تركز على حياة المهاجرين الإيطاليين، ولويزا فالينزويلا، التي نشرت رواية (الرواية السوداء)، وهي رواية سايكولوجية غريبة مخيفة، من نوع الأدب الواقعي الخالي من العاطفة، أعدت أحداثها في نيو يورك.

كما كتبت (أشياء غريبة تحدث هنا : ست و عشرون قصة قصيرة و رواية) و أعمالاً قصصية أخرى.

قد انتشر أسلوب الواقعية الخالية من العاطفة إلى الأرجنتين من الولايات المتحدة، و كان من تحفيز العنف و الجريمة اللذين تحركهما الدولة في فترة الإرهاب الحكومي، و أصبحا شائعين بين الناس. و يصف خوان كارلوس أونيتي، و هو كاتب محترم جداً من أوروغواي و عاش في بوينس أيريس أكثر من عقد من الزمن، سُخف كفاح بطل قصة ضد النظام الفاسد والقمعي في (المختطفون الشخصيون Body Snatchers)، و(دع الريح تتكلم)، و(وداعات: و قبر بلا اسم).

وتبنى ريكاردو بيغليا الأسلوب الواقعي هذافي أعماله المضادة للشمولية، بضمنها (La loca y el relato del crimen) حيث يذكر بطله الصحافي "أنني في هذا العمل مدة ثلاثين عاماً و إذا كان هناك شيء تعلمته فهو هذا : لا تجادل البوليس. إذا قالوا لك أن مريم العذراء قتلتها، أكتب أن مريم العذراء قتلتها ".

وهناك كتَّاب عديدون تبنوا هذا الأسلوب أيضاً مثل أوسفالدو سوريانو، و أيرنستو ساباتو، ومانويل بيغ، و هو كاتب و مؤلف سيناريو صور متحركة حاز على شهرة عالمية لمطبوعه المعنوَن (قبلة المرأة العنكبوت)، الذي تم تبنيه كفلم سينمائي و عمل موسيقي. و نشر أعمالاً قصصية عديدة أخرى، ومعظمها تشاؤمي، قاتم، جنسي، سريالي.

. و هناك كتّاب آخرون من تلك الفترة مثل خوزيه بابلو فينمان الذي يعكس كلاً من الأسلوب الواقعي إيّاه و تأثير بورخيس الأكثر فلسفيةً، و هو يصف في أعماله مجتمعاً كافكوياً مجرداً من الانسانية، و إيدواردو غوليغورسكي، و هو من كتَّاب أدب الخيال العلمي، و ميمبو غياردينيلي، الذي أصبح شعبياً جداً ببعض الروايات العنيفة جداً و المكثّفة إضافةً إلى هذا.و أخيراً، فإن أدب الجريمة القصصي قد ازدهر في الأرجنتين، بتغذية من كتَّاب عظام، و حكومة جائرة، و احتّياج سكان أمين إلى درجة عالية. و مما يُحمد عليه هؤلاء المؤلفُون الموهوبون أنهم لا يحترمون أية حدود أدبية و يُنتجون قصصاً تحفّز الخيال، و توفّر وجهات نظر واضحة لمجتمع في ألم، و يشعلون ممرات جديدة في أدبِ الجريمة القصصي.

فالينزويلا

بورخيس

وولش

منطقة محررة

تحية وسلام

نجم والي

ولأننا نريد أن نبدأ رحلة جديدة بخطوة أولى إذا جاز الحديث، فليس هناك أفضل من الإبتداء بتحية بعضنا: السلام عليكم، لما تحمله هذه التحية من معنى التحية وحسب، وذلك أمر بديهي، لكن في الأقل لسبب واحد فقط، أن نتمنى لأنفسنا: السلام بالفعل. وليس هناك أفضل من التعرف على بعضنا بهذا الشكل، لكي نبدأ بالحديث عن تلك المنطقة، التي سأطلق عليها "منطقة محررة" منذ الآن، الآخرون لهم مناطقهم الخضر، أو مناطقهم الحمر، أو الصفر، أو..أو، وأنا أدعوك عزيزي القارىء لنجلس ونتجاذب أطراف الحديث في المنطقة التي سنحررها لأنفسنا هنا.

دعني أرسم لك هذه الكلمات، وهناك حيث تجلس أنت البارع في قراءة ما بين السطور، حيث تتحاور معي في ذهنك، ولا تقلق، ستجدني معك أجلس في المنطقة نفسها، ننظر بإتجاه واحد، لا منة لأحدنا على الآخر، بل لا منة لأحد علينا، أنه إنجازنا الذي نصر عليه في الأمس أو اليوم، في الحاضر أو في المستقبل، أنه مشوار الحرية الذي نريد تكملة السير عليه، الإصرار على العيش الحر، عزيزي القارئ، المنطقة الحرة هي إنجاز لا زمن له، أنه مشروع دائم بإتجاه المستقبل، وإذا قيل قديماً، قل كلمتك وأمش، فنحن نقول، قل كلمتك ولا تعجز عن تكرارها، بعض الكلمات، كما قال بريشت، تحتاج التكرار في الأقل ثلاث مرات، أو قل شيئاً، اي شيء، لا تسكت، ليس هناك أكثر قتلاً للروح من الصمت عندما عليها أن تحكي، وهذا ما يتوسمه أي عمود! منذ بداية قراءاتي عندما كنت صبياً وأنا أقف مذهولاً أمام أولئك الكتّاب والصحفيين الذين يكتبون عموداً (أو مقالة) في الصحف سواء يومياً أو أسبوعيا، والامر له علاقة أكثر بمضمون العمود. في الحقيقة كنت أعجز عن التعبير عن إعجابي لأولئك الذين يكتبون العمود المميّز، كنت أشعر إزاءهم بالإندهاش ذاته الذي يجعل آذاني تقف وضربات قلبي تزداد، كلما رأيت فناني السيرك وما يقومون به من حركات غريبة، إبتداءاً من البهلوان عديم الوزن، الخفيف الذي يطير في الهواء، وهو يلوي جسمه ذا العظام الجلاتينية، إلى ذلك الفنان الذي يروض الأسود، ويرقص تحت رميات السكاكين.

حبي لرؤية السيرك في طفولتي لم يعادله إلاّ حبي لقراءة بعض الأعمدة التي كانت تشدني منذ أول قراءتي لها، حتى انني كنت أشتري الجرائد فقط لأجل قراءتها، بعض الأعمدة رافقتها (ومازلت) سنوات طويلة، ربما شغلني في الوهلة الأولى سؤال واحد، كيف يستطيع كاتب العمود العثور على موضوعه؟ لكنني لاحقاً وبعد أن عرفت أن المواضيع أمامنا في كل مكان، وفي بلادنا، بلاد وادي الخرابين، فما أن نرمي حجراً إلا وتدحرج على موضوع، أقول لاحقاً، وكلما تواصلت مع قراءة مسلسل عمود معين إزداد تساؤلي مع نفسي، من أين لكاتب هذا العمود القدرة على ديمومة كتابة كلمات مثل هذه، كلمات لا تفقد شيئاً من جوهر معناها، من حجتها، من وزنها الخاص وحبكتها؟ من أين تأتي قدرته تلك على شدّي إليه، وأنا أعرف غالباً، وعندما يتحدث المرء كثيراً، وبالأحرى بل وبالذات عندما يكتب المرء كثيراً، فإنه لا يدخل في مطبات مغامرة الوقوع في التسطح وحسب، إنما وقبل كل شيء يكف المرء عن إدراك ما يقوله.

وإذا كانت كتابة رواية لا تحتاج إلى أكثر من موضوع جيد ورغبة بالقص في المقام الأول، فإن كل كلمة مكتوبة لا تكون أصيلة وثمينة إلا عندما تكون تعبيراً عن تفكير وشعور عميقين، وإذا كان شرط الرواية الجميلة الإبداعي هو الإخلاص للحواس قبل الإعتماد على حقائق خارجية معطاة، فإن الأكثر صعوبة في كتابة عمود يُقرأ، هو المحافظة على الصدق التعبيري و الإخلاص للنفس في الأقل طوال الفترة التي يُكتب بها.

أعرف أننا في بعض الأحيان نقول كلمات خاوية، لكن المهم هو إكتشاف هذه الطاقة فينا، الطاقة في الإصرار على مواصلة زخ التعبير في الكلمات التي نكتبها، لكن أليس ذلك، في عمقه، هو نزاع متوتر بين النفس وبين الكلمات المكتوبة التي نعتقد أنها تقول شيئاً أصيلاً؟ وفقط عند إطلاق سراحه من دواخلنا، نشعر بأنفسنا أحراراً؟ ففي النهاية لا يتعلق الأمر هنا بالكلمات المكتوبة فقط، إنما والمنطوقة أيضاً.

كم هو عدد المناسبات التي قلنا فيها كلمات لا تمثلنا ولا تفصح في الحقيقة عن شخصيتنا؟ تعبيرات تعبانة، تجريدات نموذجية. كلمات إجتماعية حمقاء تذهب مع الريح. أو، والأسوأ من ذلك، بقايا مراهقة وأكاذيب جبانة.

المرء يستطيع ان يزفر في اليوم آلاف الجمل الغادرة، ضد الآخرين وضد نفسه.نحن الكائنات الإنسانية مخلوقات نتشكل على مخرطة الكلمة، وأعتقد بأن المرء يمكن ان يدرك وضع هذا أو ذاك عبر ما يقول، اسمعوا خطابات وتصريحات السياسيين وستجدون كيف أن كلماتهم إتسخت بغبار خوائهم وتعصبهم، بغبار جهلهم وظلمة أفكارهم، إقرأوا المقابلات مع بعض المثقفين الناطقين بالعربية، السماسرة الذين يدورون من عاصمة عربية إلى أخرى، من مهرجان إلى آخر وإقرأوا معهم تصريحات مثقفينا المتلونين مع تلون كل مرحلة، وستكتشفون كيف أن كلمات الإثنين تنتج حصىً يُراد به كم الأفواه، إن لم تنتج سماً لا يهم إن تُحلى بكلام معسول.

أن حياة متعصبة ومظلمة تغرف من الكذب وتتغذى من الجهل ستلوث بما لا يقبل الشك الكلمات بالعجاج، ستأتي كلماته خالية من أي تعبير، فمن يعيش بصدق وإستقامة، من ينام ويصحو على الإبداع، لا يستطيع في النهاية إلا أن يضع في الكلمات شحنات من الوجدان والشعور. وكما يُريد أن يقول لنا أحد الأمثال الجميلة: يجب ألا يُقال شيئ أقل جمالاً من الصمت.

هذا ما نصبو إليه سوية في المنطقة المحررة هذه، أليس كذلك؟ إذن لنلتقي عزيزي القارىء كل خميس ، ولنتكلم كل خميس بكل ما نملك من حرية وصدق: السلام عليكم!
ولنبدأ....